مقدمة

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله و كفى و الصلاة و السلام على عباده الذين اصطفى و بعد :
أيها الإخوة الكرم و السادة الحضور إننا نحييكم بتحية الإسلام ألا و هي :
السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته .
باسم الخليفة العام للحركة المريدية الشيخ صالح امبك أيده الله و الشيخ مام مور امبك مرتضى و بالأصالة عن نفسي نقدم تشكراتنا الجزيلة إلى كل من له دور إيجابي في إقامة و إنجاح هذا المنتدى الصوفي الهام و خاصة اللجنة المنظمة .
بوصفي من سلالة الشيخ مختار اندومب ديوب مؤسس جامعة كوكي العتيقة الذي تخرج في من تخرجوا في محظرة تيكمانطين التي نحن في ضيافتها اليوم و نكن لها أعطر المشاعر و أمتع الذكريات ، أتشرف بمشاركتكم في هذا اللقاء الميمون بإذن الله بأطروحة أرجو وتذكي فضولكم .أيها الجهابذة الحضور ، السيدات و السادة نحن اليوم أمام منعطف تاريخي خطير تصطلي بلهيبها الإنسانية جمعاء لأن الطريق كاد أن تضل بأهلها عن جادة القصد . كل منا قد اطلع على أطروحة كل من(صمويل هانتكتون) : «صراع الحضارات» و (فرانسيس فوكاياما) في : «نهاية التاريخ» و قد جاء الرئيسي الإيراني السابق (محمد خاتمي) بأطروحة تتبنى الرؤية الإسلامية و تنطلق من مبادئها السامية في كتابه الشهير (حوار الحضارات) وهو مساهمة جادة في حقل الدراسات الإستراتيجية و خاصة في المجال الجيوبولوتيكي .

Tel: 77 358 69 68



Ontologie : Etudes de l'être en tant que être
CAD étudier ses propriété général

وبما أن العالم اليوم يموج بالأفكار ذات البعد الأيدلوجي كان حريًا بنا نحن الأفارقة حضن الحضارة و الإسلام أن نساهم في التدافع الحضاري و توجيهه وجهةً إسلامية أصيلة تستضيء بمقررات السماء متلمسة أهداب الواقع وفق مشروطية الزمكان . و لهذا وغيره اختارت اللجنة المنظمة أن يكون عنوان ورقتي :

«البعد الميتافيزقي و الحضاري للحركة المريدية (نظرية الخدمة »

وهي أطروحة لأكبر المفكرين الأفارقة ذوو النزعة الصوفية التنويرية و التجديدية وهو الشيخ أحمد بمبا(١٢٧٠ - ١٣٤٦ هـ)

قدمها للعالم كتجربة معيشة صهرتها الظروف و أملتها مقررات السماء.

و إذا أردنا أن نحدد الميتافيزيقيا كمفهوم إجرائي للورقة نستأنس بقول (إيمانويل كانط) في كتابه : «نقد العقل الخالص»:الميتافيزيقيا هي : « جملة المعارف التي تستفاد من العقل وحده ، أي من ملكة المعرفة قبليا بالمفاهيم ، دون الاستعانة بمعطيات التجربة و لا بحدوس الزمان و المكان . فهي تنماز بالسمة الأولى من علم النفس الخُبْري و من الفيزيا؛وبالسمة الثانية من الرياضيات .وهي من جالب آخر ليست صورية مثل المنطق لكنها مادية من حيث انطباقها على أغراض محددة ، تسمح بصياغة قبلية لشروط وجودها المظهري : ميتافيزيقيا الطبيعة ، ميتافيزيقيا الآداب . »

تمهيد

بسم الله الرحمان الرحيم

الواحد الأحد الرافع السماء من غير عمد،المستولي على أنفاس أهل التفريد و التجريد، والصلاة و السلام على إمام أهل الحضرة و التمجيد سيدنا محمد وصحابته و خير خديمه و من اقتفى آثارهم من أهل الجمع والتفريق.

و بعد :

أننا اليوم نريد أن نبحث في تراث المجدد أبي المكارم سيد كل دان و قاص وهو المعروف عند الملإ الأعلى بالعبد الخديم و عند الذين أوتوا العلم ب« ثريا أهل الديوان» وعند العامة بالشيخ الأكبر الشيخ أحمد بمب قدس الله أسراره وعند أهل بدر الكرام بالكاظم.

وما البحث في العرف إلا التنقيب للوصول إلا ما يقنع به العقل في ذالك المجال من حقائق .وينصب بحثنا ــ اليوم ــ على ما بات معروفا في أوساط الأكاديميين ب«نظرية الخدمة» عند الشيخ الخديم«ق» وهي مجلاة لذالك المشروع الذي وضع الشيخ«ق» دعائمه تاركا لنا مهمة تنظيره على قالب أكاديمي ابستملوجي عسى أن يكتب له البقاء.

وما يجدر بالذكر بادئ ذي بدء هو : أن تنظير الأفكار والأعمال ما هي :إلا جعلها في أطر مفهوماتية بعد تجريدها من الواقع المعاش حتى يستحيل وجوده إلى صيرورة في اللانهائية .

والخدمة بوصفها منظومة معرفية تحاول الإجابة عن أسئلة الواقع المثارة وفق الجدلية السيسيوــ تاريخية والنص الإسلامي المراد تبيئته بواسطة الجهد التنزيلي أو التأويلي حسب مشروطية فهم الجاليتيكية المحتدمة بين طرفي الثنائية فقه الكتاب / المنثور. وهكذا نرى المفكر الإسلامي الجلد ذا النزعة التجديدية يتضلع بالمهمة في فضاءات العالم المتفتون بتوترات القرنين التاسع العشر و العشرين .

«محاور الأطروحة» :

الأطروحة معروضة على شكل محورين وخاتمة

المحور الأول : ينقسم إلى مطلبين :

المطلب الأول : نتحدث فيه حول : «المدخل في نظرية الخدمة ».

المطلب الثاني : نتحدث فيه حول : «تباشير ظهور نظرية الخدمة ».

المحور الثاني : ينقسم إلى ثلاثة مطالب :
المطلب الأول : « لب نظرية الخدمة ».
المطلب الثاني : « أنماط الخدمة».
المطلب الثالث : «كيفية الخدمة».
و سوف نعالج هذه النقاط على شكل فلسفي/عرفاني و نعني بالفلسفة هنا : «نظرة فكرية كلية حول موضوع ما »بكل ما للعبارة من معنى .
يسر الله لنا مرادنا وأتم مشروعنا وأفاد به بفضله وكرمه فما العبد إلا رهن كن فيكونه جل و عز . نعم المولى ونعم النصير !!!

«المحـــور الأول»

المطلب الأول : المدخل في « نظرية الخدمة »
المقصود ب«النظرية» هنا هو تنظير مضامين «الخدمة» لدى الشيخ الأكبر العبد الخديم«ق»والتعويل على الجانب العملي برده إلى الجانب النظري في تزاوج وانسجام اوقل : تجريد المدلولات الصوفية المستكنة والمؤسسة للواقع العملي في خدمة الشيخ العبد الخديم «ق» إلى رموز تنظيرية على قالب فكري يكون «الفكر» فيه مجلى الحقيقة و عمدتها .

البعد الإبستملوجي :
و «الخدمة» بهذا المنوال في بعدها الإبستملوجي هي : مجموعة المفاهيم والأطر التي قولب بها الشيخ «ق» آراءه حول الدين الإسلامي بمعنييه الإنطلوجي والميتافيزيقي أو الثقافي والحضاري أو اللاهوتي والناسوتي على حد تعبير الفلاسفة وهي : نظرة كلية تنبجس من الفكر المحض و تتمحور حول التجسيد والتجريد صعودا و هبوطا بحيث لا يطغى أحد القطبين على الآخر في الطور الأول «للروح» في «الخدمة» دون الأخير الذي يتمثل في تحقق مدينة إنسان الكامل أو(مجتمع مطلب الفوزين) على وجه البسيطة تحقيقا لفلسفة الخلافة بمفهومها المعرفي الإسلامي .

البعد الإنطلوجـــي :
و الخدمة في بعدها الإنطلوجي هي كل توجه إنساني نحو الكون و الحياة وفق ضوابط المنهج الإسلامي .

واستمر كريما

الشكر موصول للقائم بأداء صلاة الربوبية .

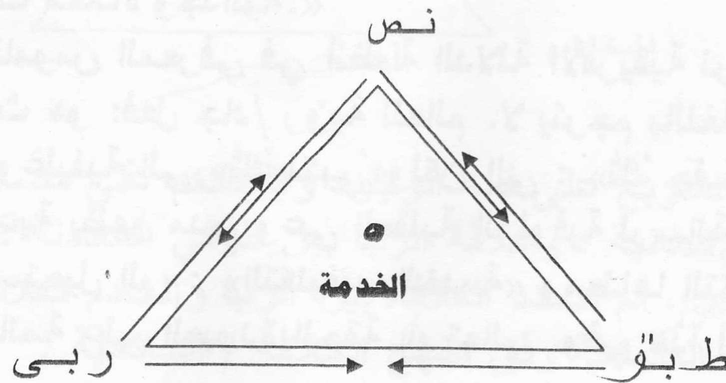
الله اكبر

و سبب قيام الأكاديميين لتنظير «الخدمة» ما هي إلا لتبيين معالم المجتمع الذي أرسى الشيخ قدس الله أسراره دعائم إنبناءه فظل ممثولا في دنيا التجسيد «العملي» دون التنفس نحو المبدإ الأول والأخير ألا وهو الفكر المحض الذي بواسطة تخلد الفلسفات والرؤى الإصلاحية عبر العصور و الأزمان .

الفكر : إذا تدلى و غاب في أجداث الوجود المادي «الآلي» فقد روحه وذاتية تدفقه و صيرورته ، و لكن ذالك ليس نهاية العالم لأن من المستطاع إرجاع عقارب التمثل الفكري المحسوس ، و الفكر المحض صعودا بواسطة «عملية التجريد».

والخدمة في صورتها الإجرائية هي :ما نص عليه الشيخ الخديم رضي الله عنه ،أو طبقه ،أو ربي على هداه أهل تربيته.وهذه النصوص نظرية كانت أم تطبيقية فيجب أحالتها إلى أنساقها المعرفية ضمن منظومة« البنية » في أطر مفهوماتية ،تطابق الأصل و تثورها . وهذا يستوجب بناء الجهاز المفهوماتي للفكر الخديمي، مع مراعاة الضوابط المنهجية لشروط المفهوم،كإطار تحديدي لمفردات المادة العلمية ،المراد التعامل معها بشكل موضوعي و أكاديمي .

ويمكن بناء نموذج إرشادي للمنظومة الخديمية على هذا المنوال:



نقاط الارتكاز في الزوايا تشير إلى الأنساق، والسهام المتوازية :تشير إلى الجدلية بين الأنساق والسهمان المتقابلان : يشيران إلى الجدلية الإحالية بين الأنساق . وأما النقطة الدائرية في قلب المثلث : فتشير إلى البنية ؛ كمنظومة جدلية للأنساق .

وتعتمد«الخدمة»على منهجية «الاعتماد اللامتبادل» وهي :اعتماد الأدنى على الأعلى؛ كدعامة إنطلوجية ،تتقاطع البعدين الناسوتي واللاهوتي وفق قانون التمثل والتجرد . وهو: «طريقة بث الأعلى شفرته الإشارية عبر الآخر. »

توطئة حكملغوية (لسانية):

الخدمة ككلمة ينبوعية أو كمفهوم تحديدي ، فلا يمكن تركها دون ضبط خيوطها المنهجية وخاصة حين مقابلتها بلفظة أصلانية عند المفكر بوصف اللفظ كينونة إيجابية تتحاور مع مستخدمها في إطار وجودي مفترض ، يرتد إلى الجذر اللغوي من حيث الإنزياحات المعرفية الناتجة عن التبيئة الدلالية ، في حقل معرفي دون آخر.

ويقول(الككي) وبرغم إن الألفاظ تولد جوفاء ولكن المفكر هو الذي يوظفها ـ على حد تعبير أحد المفكرين الأفارقة ـ يحتاج الأمر إلى بيان الإشكال المصطنع في سياق العامة بين «الخدمة» (جَفْ) و«العمل» (لكييْ) ، وذالك لأن «جف»من حيث الدلالة اللينغيستيكية هي :الفعل الجاد ذي مشروعية إيدلوجية /رؤية للعالم ، يُؤدّي في أريحية فكرية /عقدية .وهذا المعنى الفلسفي لا يحتويه البتة كل من اللفظتين المتوازيتين:لكييْ/العمل،لأنهما يعنيان فعلا يؤدى بصورة قهرية ولو وجدانيا. «أو يعنيان حركة إنتاجية قصديه ؛ تؤدي ذات معاناة وجدانية.»

وإذا نظرنا إلى القاموس المعرفي في أنظمة الدلالة الأفريقية نرى : «التكليف» من حيث هو :فعل جاد/ رؤية للعالم .لا يترجم باللغة الولوفية ذات الجذور الهيروغليفية:إلى «تُكْ لكييْ»ولكن إلى : «تُكْ جَفْ» وفي الترجمة الإسترجاعية يظهر مدى وعى العقلية الولوفية لرسالة التكليف ـ اوقل فلسفتهاـ فتستحيل إلى : «التكليف بالخدمة» ومعناها التكليف بالقيام بأعباء الخلافة القائمة على العبودة الحقة لله تعالى .وفي هذا أثراء للفكر الإسلامي.

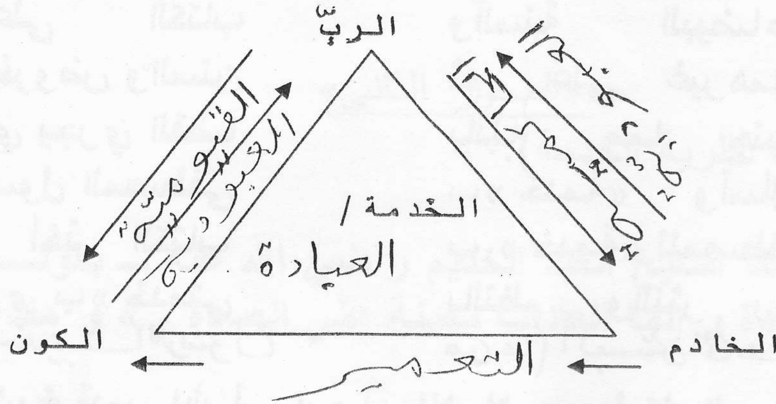
هكذا تعني لفظة«الخدمة» (جف) : «حركة إنتاجية ذات قيمة معنوية قصدية،تؤدى في أريحية مطلقة .»

و«جَفْ»في اللغة الولوفية، تأخذ منظور الهمة والإدارة الفاعلة، زيادة ربما على المدلول الذي يتشبع به اللفظ العربي الإسلامي.

البعد الأيدلوجـــي :

«الخدمة»:كنظرية هي مشروع طموع يدعوا إلى إعادة قراءة الإنسان و«الروح» والربط بينهما في علاقة حميمة يتربع فيها الإنسان على عرش الخلافة بالعبودة سيرا إلى الله بالباطن أو حبوا إليه بالتسبب ضاربا عرض الحائط «الطلسمات وأسماء الجان» التي ما أنزل الله بها من سلطان فيصير الإنسان في هذه الحالة نقيا بسيطا يتسامى ب «عقله» في الملك و«بروحه» في الملكوت. وإن شاء الله سوف نرى كيف عالج« نظرية الخدمة» : ثالوث : الله / الإنسان / الكون ، في شكل فلسفي جميل .

ثالوث : الله ، الإنسان ، الكون ، تتموضغ علاقاته ضمن منظومة الخدمة على شكل أنساق بنيوية ، تحيل إلى حبكة: الخدمة / العبادة،وهذا رسم هندسي لها :



والرب هو المتربع على قمة الوجود والمتحكم على مصائر الملحمة الوجودية الإنسانية . وعلاقة الرب بين طرفي المعادلة : الخادم / الكون هي : التعمير، ثم تتحدد العلاقة بين الرب والخادم كعلاقة حميمة تتأسس على المحبة المتبادلة وفق منهج الخلافة / الحاكمية .

والحاكمية : هي التي تتمحور حولها مهمة الخادم / الخليفة وهي جهد تأويلي يقوم به الخادم لتنزيل النص الرباني على أرض الواقع . ويتحقق ذلك بفقه الكتاب/ المنثور كمنطلق تأسيسي لأسباب النزول على إجابات السماء ،والنص الرباني كمنهج إصلاحي تطويري للكون كمسرح للخلافة الإنسانية. وعلاقة الخادم بذاته (الإنسانية) تحكمها معادلة : البر /التقوى . بينما تحكم العلاقة بين الخادم والكون منظورية التعمير.

وتتحول هذه المنظومة بأنساقها المختلفة إلى الخدمة/العبادة .

« المطلب الثاني »

« تباشير ظهور نظرية الخدمة»

ظهر انقلاب في الموازن «النفسية» عند الشيخ الأكبر قدس الله أسراره في عام ١٣١١ الهجري الموافق حوالي ١٨٩٢ الميلادية بعد جولان في عالم «التحقيق المنهجي» و حده هو: «وضع مقولات العقل المجرد و محصلاته الأوليّة على محك العقل المستفاد ، أملا في بلوغ الوسع لوعي الحقيقة المطلقة». كما عند الخليل إبراهيم ــ على نبينا و عليه السلام. وذالك قبل تأسيس الشيخ أحمد الخديم قدس الله أسراره ما بات معروفا ب«الخدمة» ، ويقول حول تلك « الأزمة المنهجية »:

الحمد لله الذي صرفني	بلطفه عن بدع للسنن
أشكره جلّ على الكتاب	والسنة البيضاء والصواب
أشكره على الفروض والسنن	ثم على غيرهما من المنن
أستغفر الله الذي يجري القضآ	بإذنه مما جنيت ومضى
أبايع اليوم الرسول المصطفى	ب« خدمة» وأسأل الله الوفى
أعاهد الله على أخذ الكتاب	ب « خدمة» للمصطفى باب الصواب
أحق جملة الورى ب« خدمتي	بالنظم والنثر رسول الرحمة
طلبت عابدا خديما الرسول	من عام أيستش الى عام ارحيل

وهنا تراءى للشيخ قدس الله أسراره إن الإسلام بسيط كل البساطة فلا داعي للابتداع دون التعويل على الأصول .و هكذا رفض الشيخ كل ما يعكر جو العلاقة بين الخادم : الإنسان (العبد) و المخدوم / الرب ، الرسول / الكتاب ، السنة .

فقال الشيخ «ق» بعد نفض القلب من الأغيار محددا محاور« الخدمة» في صورة إجمالية :

بالله ءامنت و بالقرآن	وبرسول الله بدء شأني
بمدحي الدهر رسول الله	وبصلاتي عليه جاهي
بمدحه أفوز عند موتي	كما به أدرك كل فوت
بخدمة الكتاب والحديث	يثبت لا بذهب موروثي

و المدح هنا حسب الرؤية الخديمية هو: « الاستحضار الملاي للمزايا

المصطفوية و تفعيلها في جوانح النفس البشرية ».وهو أساس روح الخدمة .

وهكذا بدأت تباشير ظهور الخدمة في الانبلاج ثم أكد الشيخ«ق» صيرورة «الخدمة» معاهدا ربه ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بأن الخدمة هي تمحور دورانه وانجلاء سكونه فقال :

زمامي اليوم جعلته أبد في يد أحمد لطاعة الصمد

وقـــــــــــال :

ظللت عابدا خديما للرسول من عام« أيسش» إلى عام الرحيل

و هكذا توطدت دعائم «الخدمة» في دنيا الواقع كما قال العلاّمة الشيخ محمد البشير أمبك : و كانت التربية بالأوراد فصارت بإقامة شعائر الإسلام واستدامة الذكر و التذاكر ...[1] » و نقول : وذالك بدءا من هذا التاريخ وهو عام «البيعة»و سوف نقف بمشيئة الله على مراحلها عند الحديث عن «الخدمة» وأنماطها .

«المحور الثاني»

«المطلب الأول»(لب نظرية الخدمة):

البعد العلمـــي:

الخدمة كما قعدها لنا الشيخ العبد الخديم ر ضي الله عنه ــ بقولـــــــه : «الخدمة هي : العبادة و إنما العادات معينة على العبادة . » و هكذا يتحول

مفهوم الخدمة إلـــــــى «تصور صوفي يتمحور حول معاني العلم و العمل . »

يقول الشيخ رضي الله عنه :

ولتعلمن بان علما و عمل هما وسيلتا السعادة اجل

---

[1] منن الباقي القديم جـ ١ صـ ١٦٨ (المخطوط)(السنغال)

و السعادة هنا هي الأبدية أو بتعبير« كلام المتأخرين» السعادة القصوى،
والعلم هنا هو علم الربوبية . يقول الشيخ رضي الله عنه :
و أفيد العلـــــوم للقلـــــــوب علم العبوديـــــــــة و الربوبــي

و(الربوبية) هي :مربط الفرس في الخدمة، و بالربوبية يتحدد معنى الخلافة و يتعين دور خادم الرسول و مهمته في إصلاح العالم .

ولشرح التعريف نستحسن أن نأتي بقول احد فرسان الليل وهو صاحب كتاب :أرواء النديم في عذب حب الشيخ الخديم قدس الله أسراره حيث قـــال :
«... وهو الإخلاص الذي هو روح العمل نتيجة معرفة العارفين ــ بالله ــ الذي به يحصل الوصول الذي هو عبارة عن كون العبد خالصا لله في حركاته و سكناته وعقائده و أقواله و أفعاله و أحواله كلها ظاهرا و باطنا . »[1] (1)

البعد الميتافيزقي :
السؤال المحوري الذي يطرح نفسه هو. ما هي الحقيقة الخديمية ؟
الحقيقة الخديمبة هي : «البرزخ الجامع لأسرار الأسماء و الصفات ، المظهر الأتم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم » .
و نعني بالحقيقة هنا : الصورة المطلقة للكائن الخد يمي في علمه تعالى. يتحدث الشيخ عن تلك الحالة الروحانية الميتافيزيقية في خطاب زاخر بالإيحاءات الدلالية ذات المنحى الابستملوجي يقول :

ومن خوارق النبي المفضل عليه تسليما العلي المفضل
كون سني تغربي مستخرجة من زمن مضى مزايا مخرجة
قد شبهت بما من الرسل جرى الى الذين كلهم قد فجرى
عليهم الصلاة والسلام كما انتفت ببعثهم ظلام

[1] إرواء النديم في عذب حب الشيخ الخديم السنغال

وقد قال في نفس السياق:

مباهي رسول الله كل الأنبيا عليهم ابقى سلامي ربنيا

بغربتي عشر سنين بخدم خالصة لذي الوجود و الخدم

وقد قال: «لولا الخدمة ومصالح العباد ، ما بتت في الدنيا ليلة واحدة » و هنا تتجلى خطورة الخدمة وأهميتها في بعدها الميتافيزقي.

و«الخدمة» في بعدها الميتافيزقي هي: « أك طالبه» : وهو مفهوم يرمي إلى تحقق مضامين «الخدمة» في أطرها الفكرية المحضة ؛ و أعني به : تسامى «الخدمة» عن زمكانية الوجود إلى مطلق الفناء الذي كما يقول الشيخ الأكبر قدس الله أسراره : هو سكونك تحت بساط الحقيقة المنورة [1](2) +

والخدمة في حالة تحققها الروحي هو تسامي : الخادم بالمخدوم تساميا تمحوريا نحو المبدإ الأعلى في حالة الإنعتاق نحو الكمال ؛ وأما في حالة تحققها الوجودي المحض نحو التزاوج بين الروح والمادة وهو بناء الحضارة و الثقافة في حالة سيطرة الروح على المادة دون العكس وإلا صار الأمر وثنيا محضا وهو أمر يرفضه الدين.

ولذلك أرى أن «الخدمة» تتمحور إشكالياتها حول الثقافة و الحضارة دون سيطرة الثانية على الأولى.

....

١– ارواء النديم في عذب حب الشيخ الخديم ص ٣٠ نسخة i.f.a.n السنغال

٢– انظر (المجموعة) ((مطبعة الشيخ الخديم طوبى المحروسة السنغال + لقول الشيخ الخديم عن الحقيقة المنورة هي: "ما اشتمل على التوحيد سواء نزل به كتاب أم لم ينزل".

وكانت الخدمة على مراتب
فهناك خدمة الأشياخ و هناك خدمة المريدين
خدمة المشايخ ترجع الكلام فيما بينهم وبين الرب ، وتنصب منافعها عليهم من الملك مباشرة كمبايعة الشيخ عبد الرحمان لوح الشيخ على القيام بالمصحف الكريم
وخدمة الشيخ نفسه بجميع البناء تنصب على المريدين الصادقين وثمارها دانية لهم
"المجال المريدين معا
لو لا الخدمة ومصالح العباد ما [illegible]

البعد الحضاري :

و الخدمة : في بعدها الحضاري : ما هي إلا حركات إرتدادية تنبثق من ثنائية الروح و المادة و متحركة بين قطبيها المتضادين الممثلين في التمثل و التجرد اللذين إن انفك أحدهما عن الآخر صار الأمر في عتمة وجودية لا تنفس فيه ولا انعتاق .

وهكذا تكون الخدمة كمفهوم فلسفي : « كل حركة فاعلة ذات قيمة معنوية ،قصدية ، الطبيعة تؤدى في الخطاب الإنساني تجاه الكون والحياة شكرا لله في أريحية العبودة الحقة » .

وهنا يولد ما يعرف عند منظري الحركة المريدية وخاصة عند الككي « مجتمع مطلب الفوزين » وهو نقيض« مجتمع مسالك الجنان» الذي شخص الشيخ أمراضه في أفضح صوره حتى قرر بأن لانهضة وتقدم ولا الوصول للمسلمين إلى الهدف المرجو والأمثل إلا بقطع أوصال جراثيم تلك الأمراض المهلكة فقال :

ولست تحتوي الوصول للجليل بغير قطع العقبات يا نبيل

ومطلب الفوزين بوصفه نقيض أطروحة مسالك الجنان فهو: «طوبى» بوصفها النموذج المثالي لمدينة الإنسان الكامل في تخطي النهائي لبلوغ اللانهائي ، على منوال جعل الدنيا مطية للآخرة دمجا يتجسد فيه عالم اللانهائي في النهائي ، في صيرورة ترقى إلى إلغاء الثنائية التامة بين العالمين ، كبنية واحدة لأبعاد متشعبة . »

و الخادم : في الخدمة هي تمظهر المخدوم في دنيا الواقع المتعين المرموز بالسرائر عند أهل هذا الفن ، أو هو نفي شهود السوى في تبلورات الوجود اللاتعين و التعين و نعني بذالك نفي التأثير في الكثير و القليل في الموجودات كلها إلا بتدبيره سبحانه و تعالى وهذا هو المعنون بترك التدبير عند أهله .

(المطلب الثاني) : «أنماط الخـــدمـــة»

أنماط الخدمة : حسب تجلياتها صعودا و هبوطا : و نعني بها حركاتها الارتدادية التمظهرية و التجريدية المندمجة في ثنائية الروح و المادة اللاتين بهما تتأسس

«الخلافة» بالمعنى الإسلامي لا غير وهي مصداق قوله تعالى :﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ .

وهذا على أساس سلسلة من الثنائيات : المعبود : المخدوم / العبادة : الخدمة / العابد : الخادم / العبد : الخديم .

«... و يقصد من هذه الثنائية ، أو من هذا النظام ، دمج عالم الغيب في عالم الشهادة دمجا يلتقي فيه الماضي و الحاضر و المستقبل على نحو من التفاعل و التواصل و تأسيس دور «خادم الرسول» صلى الله عليه و سلم و مهمته في إصلاح العالم[1] »

النمط الأول : «لَقَسَايُو» : وهو كما قال الشيخ محمد البشير امبك :لأولئك الذين ائتمنوا الشيخ قدس الله أسراره على أنفسهم وألقوا إليه أزمتهم وانسلخوا عن إرادتهم غلبت فيهم قابلية الأخرى (التربية بالحال) تربيهم الإشارة و تنهضهم الحال و ترقيهم العناية و الهمة ، دلالتهم على الله ظهور أمره تعالى في جميع حركات الشيخ و سكناته بلا مشارك من غير شرح لعلة ولا وصف لدواء ... (١)

و نقول أن «لَقَسَايُو» هو إقبال إلى الله بكنه الهمة و التبري من الحول والقوة ؛ بعمارة القلب في إخلاص العبودة الحقة لله دون اهتمام بما هو باد للعيون ؛ بشغل الفراغ فيما يجدي و يغني في الآخرة : وهذا هو المعنون بالسير إلى الله بالحقيقة .

و الحقيقة : هي اشتغال القلب بالله و أفراد العبودية له بالقيام بواجبات الحضرة من سرمدية التفريد ودوامة التفريق و سرعة التجاوب لما يشير إليه المقام و يستوجبه الحال وقت التقاء الكئوس في حضرة المحبوب .

النمط الثاني : «تَكُوُو» : وهو كما قال الشيخ محمد البشير أمبك (هو) لأولئك الذين يزورونه للتبرك و الاسترشاد بالنصائح و الوصايا و التلقين و لأخذ العهد ، أولئك يهديهم إلى ما فيه سعادتهم في الآخرة و الأولى ويزهدهم في الدنيا و يرتب لهم أورادا من الكتاب و السنة أو مما تفرغ منهما من استخراجة أو استخراج بعض الأكابر ممن قبله أو يلقنهم وردا من أوراد

---

[1] محاضرة للأستاذ صالح سلام : هل يمكن الحديث عن مكانة القصائد في المكتبة العربية الإسلامية

مشايخ الطرق التي حصل على إجازتها من مشايخهم المربين و يرشدهم و ينبههم ثم يصرفهم،إلى أن يمكنهم الرجوع إليه للاستزادة و الزيارة فيرجعون ثم هكذا فهؤلاء جل تربيتهم بالقال (...) و فيض المهمة و بركة المجالسة...

هم القوم لايشقى جليسهم اذ يكسبون المريدين السعادات ١

و نقول أن «تَكــُووُ»هو مشروع «إجتماروحي» و يعني : السهر عل الكتاب و السنة و الأخذ بما تيسر من الحقيقة بعد التعلق : وهو اعمار الظاهر بالوقوف على بساط الشريعة بقوانيها الكلية في العبادات و العادات ومراقبة

المالك الديّان ؛ بإفراد السر له مهما دقّ أو خفي في الإخلاص التام في كل ما يصدر من القلب و الجوارح ، وهذا ما يسمى بالسير إلى الله بالتسبب مع تفويض الأمر له .
وهذا النمط (الثاني) من نظرية «الخدمة» هو الأكثر شيوعا لدى أوساط المريدين لما في تجلياته من مضامين «إجتماروحية»يلتقي فيها الملك و الملكوت في نسيج الروح و المادة دون طغيان أحدهما على الأخرى .

«المحور الثالث»

المطلب الأول : «كيفيــــة الخدمــــة» .
إذا أردنا التحدث عن كيفية «الخدمة» فيجدر بنا أن نعول على كتابات الشيخ قدس الله أسراره بعد «أيسش»(١٣١١) الهجري لإستنطاق نصوصها و تجلية غوامضها لأن ذالك هو عام «البيعة» وفي قصيدته في عام «البيعة» يقول الشيخ قدس الله أســـــراره :

بخدمة الكتـــــاب و الحديـــــث يثبـــت لا بذهـــب موروثـــي

ولنا وقفة مع مدلولات هذا النص لفك رموزه لعلنا نستفيد منه و نفيد .
و نقول : «الخدمة» هنا بالمعنى المريدي هي القيام بالواجبات المستقرأة من الكتاب و السنة بمعنى الوقوف على إشاراتهما بسبر أغوارهما بما يشير إليه المعنى أو يسكت عنه اللفظ و يوحي إليه السياق على دعامة

آلات البحث العلمي في الآيات والأحاديث النبوية.و خدمة الكتاب ليست محض العكوف على مدارسة رسومه دون الغوص في لججه لإستكناه معارفه بالتفهم كما يقول الشيخ قدس الله أسراره :في كتابه تزود الشبان :

فسارعوا طرا إلــــى التعلم   و جاهدوا النفــــوس بالتفهـم

و معرفة ظواهر الكون و تسخيرها لمصلحة البشر هي مشروع الخدمة جاعلا إياه مطية للآخرة كما يقول الشيخ قدس الله أسراره في قصيدته : «جاورت الله بكتابه إلى دخولي جنته» و هو قولـــــــه :

«أخذت مـــن دنيـــاه زادي للجنان   وانقاد لي الهوى ولي صفى الجنان[1]

وكان الشيخ «ق» يقول : ينبغي للمؤمن أربعة أشياء دابة فارهة و دار واسعة و ثياب جميلة و سراج منير ، و الدابة الفارهة : العقل ، و الدار الواسعة : الصبر ، و الثياب الجميلة : الحياء ، و السراج المنير : العلم[1]

و العلم على قسمين (كما يقول الشيخ«ق») نافع و دافع ، العلم النافع يقود العبد إلى الجنة و النجاة من النار ، و العلم الدافع يدفع العبد إلى النار و العياذة بالله تعالى .

و قال أيضا العلم قسمان : الحكم و الحكمة ، .فالحكم ما بين الواجب و المندوب و المباح و المكروه و الحرام.[2]

و الحكمة ما يجتمع فيها هذه و غيرها و لذالك قال الله تعالى : «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا .»

و هكذا ينتهي بنا المطاف إلى قول الشيخ الأكبر قدس الله أســــراره :

---

١ ــ انظر كتابي :التوحيد العرفاني/ تجديد في الأنساق المعرفية للعقلية الإسلامية مخطوط في عهدة الككي

٢ ــ المجموعة سبق ذكره

٣ ــ المجموعة سبق ذكره صفحة ١٦

«أمـا المباهاة بعلـم و الفخر و طلب المال بـــه حيث ظهر»
«أو الــتكـــبر به و طلـب رياســة فللهـلاك ينسب »
«إذ الوعيد فيه أيضــا بالعذاب لنا شديــد راجعن نص الكتاب »

«الخـــاتمـــة»

أيها الإخوة الأعزاء هكذا تمّ بحثنا بفضل الملك الديان قد عالجنا فيه «نظرية الخدمة» كما انقدحت في ذهننا حسب قراءتنا الدعوبة قراءة جالكتيكية وهي رؤية تتبنى فلسفة الاحتجاب و الظهور كما عند الفيلسوف الألماني (نيتشه) و قراءتنا هذه شملت الشيخ أحمد الخديم و مراحل تحولاته البنيوية و إنعطافاته المعرفية وكذلك أعماله مع التنبه الكامل لانزياحات نصوصه الدلالية حسب مناهج ورؤى الفلسفة الككية وفلسفة التأويل /المرايا المتعددة (للككي) و الهرمنوطيقا و الرموزيةو هكذا فيما يقرب من عشرين سنة أو يزيد، و ذالك بواسطة آليات دراسة الخطاب بمختلف مناهجها الفلسفية بدءا من (دريدا) و (فوكو) مع النقد

اللاذع لمنطلقات الهرمونطيقا الفلسفية والدينية وكذلك تصور (مشيل فوكو) للقطيعة المعرفية وكذلك (رولان بارت) دون التبني لنظريته في موت المؤلف
و (جوليان كرستيفا) في نسختها المعدلة عن (ميخائيل باختين) في«التناصية »بدلا من «الحوارية » و غيرها من فلسفات تحليل الخطاب كما تم التعامل المنهجي لموضوعنا وفق فضاءات كل من علم الإجتماع بنحله وخاصة علم الإجتماع المعرفي و علم النفس بمذاهبه وخاصة علم النفس التربوي و كذالك الظاهراتية عند (ادموند هورسل)و فينوميلوجيا الروح عند الألماني (هيغل) وكل ذلك حسب المتاح لدى الباحث .
أيها الإخوة ندعوكم إلى الإسهام في مشروع الخدمة بالنقاش و البحث و الدراسة لعل الغد القريب يسفر عن شمس تشرق بها أرجاء وجودنا بكل تبلوراته الإبستملوجية والميتافيزيقية .
و مسك الختام قول الشيخ قدس الله أســـراره :